الحياة
الإثنين ٢٨ نيسان (أبريل) ٢٠٠٨ الموافق ٢٢ ربيع الثاني ١٤٢٩ هـ/ العدد ١٦٤٦٠
ALHAYAT MONDAY 28 APRIL 2008 ISSUE NO 16460

رأى أن دعوته تهدف إلى حتمية مغادرة مربع الخوف والانغلاق

الهباس: الملك يدرك قدرة دينه على تجديد نفسه

□ جدة - ياسر الأبنوي

■ حضر خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز ... ل من أمس، بكل ما أوتي من بساطة وإيمان وتفاؤل، ليحيي الأمل»، وليقدم أكرم تحية للأمل في الإنسان وفي المكان، وتحية بما يمكن أن يفعله من خلالهما للوطن والفكر والحوار.

ومن تفتحت نفسه على الأمل، وشاهده في كل شيء، وتفاءل بانطلاق شعاعه من خلال كل شيء، لا يمكن أن يلتفت إلى الوراء، ولا يمكن أن يحبسه الخوف أو التردد و «الجفول»، لأن الأمل والتفاؤل صفة الواثقين. أصحاب القناعات الراسخة، المؤمنين حقاً بما يعتنقونه من مبادئ. ومن يملك داخله الإيمان والقناعة والأمل، لا يمكن أن تدعه وشأنه، تظل تلح وتلح عليه لينقلها إلى من حوله، وليس بيده خيار إلا أن يفعل، وأن يحاول أن يبتكر الأسلوب المناسب، وأن يغتنم كل مناسبة.

ولهذا قال للحاضرين: «اسألوا أنفسكم». سؤالاً بديهي الإجابة: هل يراودنا الخوف من الانفتاح العالمي على أنفسنا قبل أن نعرف من نحن؟ وإذا عرفنا حقيقة من نحن، ما هي رسالتنا وهدفنا وأسس ديننا، سندرك أن لا خيار أمامنا ولا نملك إلا أن «نتصدى لدورنا الأخلاقي بثقة المؤمن بعالمية دينه ورحابته وقدرته الخارقة على احتواء الشعوب والثقافات».

وأكد أستاذ العلوم السياسية في جامعة الملك عبدالعزيز الدكتور خالد الهباس، أن كلمة خادم الحرمين الشريفين تنبع من داخل مسلم ذي إدراك وإيمان كاملين بأن دينه قادر على تجديد نفسه بما يتوافق مع متطلبات الحياة المتغيرة، مسلم يود أن يوجه رسالة إلى الذين يعتقدون أن الأمان في بقاء الحال، ويخافون الجديد، بألا يقلقوا وإن داخلهم القلق فلينظروا ماذا يملكون؟ فحتماً سيجدون أن ما يملكون من إرث ثقافي وتاريخي وديني راسخ، يدخل الطمأنينة والأمل والتفاؤل في نفوسهم، بل يحضهم على الانفتاح والاستفادة من الغير وإفادتهم، من منطلق الواثق من نفسه ومما يحمله في داخله من نور وعلم. وأضاف الهباس: «هذه رسالة للأصوات المحلية التي تنادي بالانغلاق والخوف من التجديد، وتتخذه منهجاً وتدعو إليه، تقول لهم استيقظوا واستوعبوا دينكم وثقافتكم، فإن الثقافة كائن حي متجدد عبر الأزمان، وهذا ما لا ينقصنا كمسلمين، فيجب علينا أن نتعامل مع كل الثقافات ونستفيد منها بما ينعكس على الإنسانية بشكل عام»، مؤكداً أن هذه الدعوة من خادم الحرمين الشريفين، تأتي لوضع الدين الإسلامي في مكانه الصحيح: مكان الثقة والقوة، اللتين لا يمكن أن يبقى حاملهما في مربع الخوف والتردد والانغلاق. وأشار إلى أن الملك عبدالله كان سباقاً على الدوام إلى الكثير من التحديث، والدعوات التجديدية، مثل دعوته الأخيرة إلى حوار الأديان، وهي رسالة أكيدة بأنه ليس بالضرورة أن يكون الانفتاح سلبياً، كما أنه ليس بالضرورة أن يكون التغيير تعدياً على الثوابت والتقاليد السليمة الراسخة، ولكنه تبادل وتعاون، وأخذ وعطاء، وإفادة واستفادة، وتعلم ما ينفع وترك ما يضر وكشفه للآخرين حتى تعم الفائدة الإنسانية بكاملها، التي ننتمي إليها نحن كمسلمين، والتي يحضنا ديننا على خدمتها.

وأشار الدكتور الهباس إلى أن ختام الملك عبدالله لحديثه بالتأكيد على دور المرأة الفاعل، جاء قصداً لدحض أي تصور سلبي «محلي» عن أن التغيير سيكون خروجاً عن الفطرة السليمة والثوابت الإسلامية، خصوصاً في ما يتعلق بالمرأة، التي دائماً ما تضعها بعض الأصوات والدعوات «المحلية» في خانة «الريبة» عندما يأتي الحديث عن التغيير، أو تبادل الثقافات والانفتاح على العالم، وليؤكد أن دور المرأة ضروري وفاعل ورئيسي في أي نهضة وتغيير وإصلاح، وهذا لا يعني مطلقاً تخليها عن التمسك بعقيدتها وفضائل أخلاقها وحرصها التام عليها. وزاد: «إن خادم الحرمين يدعو باختصار إلى الفهم قبل الحكم، وإلى الإدراك قبل اتخاذ المواقف، وتحديداً إلى إدراك مفهوم التغيير وماهيته وأثره وحتميته، وحتمية الاندماج فيه، ليس مجبرين مترددين، ولكن مؤمنون واثقون، كما ينبغي للمسلم، ملؤنا التفاؤل والأمل».